الوحدة الأولى

بلاغة اللفظة القرآنية

الأهداف :

١- إيقاف الدارس على بلاغة اللفظ و قيمته الفنية في القرآن الكريم وبيان إعجازه واتساع دلالته.

٢- إيقاف الدارس على :

بلاغة اللفظ القرآني بمراعاة فروق الدلالة المعجمية الدقيقة في مناسبته للسياق والمقام.

بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المشترك اللفظي

بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المتواطئ

بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز

بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي و الشرعي.

٣-تقوية الحس البلاغي لدى الدارس بتحليل عدد من الألفاظ القرآنية المشتملة على المعاني الثرة المطابقة لمقامها وسياقها.

العناصر :

١. تمهيد عن بلاغة اللفظ القرآني

٢. بلاغة اللفظ القرآني بمراعاة فروق الدلالة المعجمية الدقيقة في مناسبته للسياق والمقام.

٣. بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المشترك اللفظي

٤. بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المتواطئ

٥. بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز

٦. بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي والشرعي.

تمهيد :

لعل هذا النوع من الإعجاز يعد أبرز أنواع الإعجاز على الإطلاق ؛ ولذا فقد توفرت عليه الدراسات حول إعجاز القرآن الكريم – في القديم والحديث.

ونقصد به : دقَّة اختيار القرآن الكريم لألفاظه ذات الدلالة المعجمية المطابقة لسياقها ومقامها أتم المطابقة ؛ بحيث لا يصلح أن تحلَّ كلمة مكان تلك الكلمة القرآنية المختارة لسياقها.

ومن ثم يقرر أحد العارفين بإعجاز اللفظ القرآني أن " كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد." (١)

ومن أهم مظاهره :

- بلاغة اللفظ القرآني بمراعاة فروق الدلالة المعجمية الدقيقة في مناسبته للسياق والمقام.
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المشترك اللفظي
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المتواطئ
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي والشرعي.

وسوف أعرض هنا لكل واحدة من هذه الظواهر بشيء من التفصيل :

بلاغة اللفظ القرآني بمراعاة فروق الدلالة المعجمية الدقيقة في مناسبته للسياق والمقام :

فمن ذلك المفاضلة بين كلمتي : تستأنسوا - تستأذنوا

فقد وردت كلمة تستأنسوا في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور:٢٧]

فنلاحظ أن كلمة تستأنسوا هنا تحمل من المعاني والظلال المناسبة لهذا السياق ما لا تؤديه كلمة أخرى من الكلمات التي تعد مرادفة أو - على الأصح – مقاربة لها ، مثل : (تستأذنوا) التي فسرها بها جمع من المفسرين .

"قال بعضهم: تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا." (٢)

وقال الألوسي :"{ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ } أي تستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها "(٣)

وقال مجاهد: "{ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ } قال: تنحنحوا -أو تَنَخَّموا." (٤)

غير أن مقارنة سريعة بين الدلالة المعجمية لكلتا الكلمتين (تستأنسوا – تستأذنوا) - أو الكلمات الأخرى التي فسرت بها الكلمة باعتبارها من لوازم الاستئناس -تبين لنا فضل الكلمة المختارة في الآية الكريمة على ما دونها .

قال الزمخشريّ :"{ تَسۡتَأۡنِسُواْ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه ، فإذا أذن له استأنس ، فالمعنى : حتى يؤذن لكم كقوله : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧٣] وهذا من باب الكناية والإرداف؛ لأنّ هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن . فوضع موضع الإذن .

والثاني : أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف : استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً . والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال ، هل يراد دخولكم أم لا؟ ومنه قولهم : استأنس هل ترى أحداً ، واستأنست فلم أر أحداً ، أي : تعرفت واستعلمت ..

وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان؟ وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : قلنا : يا رسول الله ، ما الاستئناس؟ قال : " يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح : يؤذن أهل البيت . والتسليم أن يقول : السلام عليكم ، أأدخل؟ ثلاث مرات؛ فإن أذن له وإلاّ رجع "(٥)

ويتبين لنا من خلال ما ذكر أن الكلمة تحمل ظلالا كثيرة ،وأنها لا يعوض عنها بكلمة واحدة بل بمجموع كلمات عديدة فهي تحمل معنى الاستئذان والاستعلام والاستكشاف وذلك يحصل بوجوه كالتنحنح والتكبير أو مطلق الذكر والسلام على أهل البيت ونحو ذلك مما يحصل به الأنس وزوال الوحشة بالاطمئنان إلى أن زيارته لأهل هذا البيت مرغوب فيها في ذلك الوقت ، وأنها تحقق الأنس والائتناس بين الطرفين (الزائر والمزور) وإلا فالأمر كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور:٢٨]

ومعلوم أنه إذا التزم ألا يدخل حتى يستأنس لم يعرض نفسه لأن يقال له ارجع .

" إن الاستئناس في الآية الكريمة ليس مجرد الاستئذان كما وهم الذين فسروه ، وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله ، ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : (استأنس الشرطيُّ ، أو جابي الضرائب ، أو الدائن) إنما هو الاستئذان ، ليس منه حسٌّ إيناس ، كما لا يسوغ استعمال (أنس) في رؤية عدو أو نار حريق ، أو سماع هزيم رعد ، وزئير وحش .) [٦]

ومن ذلك الفرق بين الإيمان والتصديق :

وذلك كما في إيثار كلمة مؤمن على نظائرها مثل موقن ومصدق ونحوهما في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف:١٧] ؛حيث تفيد من المعنى ما لا تفيده لو قال : (بمصدِّق لنا ولو كنا صادقين) ، وذلك لأن قوله : (بِمُؤْمِنٍ لَنَا) ، أي : لست مصدِّقًا لنا تصديق يقين واطمئنان وركون لما نقول حتى لو علمتَ أن كلامنا يوافق الواقع ، فلو أنه جاء بلفظة (بمصدِّق) بدل لفظة (بمؤمن)؛ لذهب هذا المعنى ، مع أن اللفظتين تشتركان في معنى التصديق.

فمن ثم نلاحظ أن المعنى هنا يتركب من عدَّة أجزاء هي مفردات الدلالة الكليَّة لهذه الكلمة ؛ ومن ثم فإن دلالة هذه الكلمة (مؤمن) تتركب من هذه المفردات :[مصدِّق – موقن - مطمئن – راكن] فليس إذا ثمة تعدد حقيقي للمعنى ؛ إذ إن معنى الكلمة لا يصدق على كلٍّ واحد من هذه المفردات ؛ بل لا يصدق إلا على مجموعها ، أي : يصدق عليها مجتمعة لا منفردة .

ومن ثم فإن ما يبدو من مثل هذا النوع على أنه من تعدد المعنى ليس تعددا في الحقيقة ، وإنما هذه المفردات المذكورة إنما هي أجزاء المعنى

المتركب من تلك الأجزاء ؛ فلأجل ذلك سميته باتساع المعنى أو بالتعدد الشكليِّ في مقابل التعدد الحقيقي .

ومن ذلك كلمة العرف ونظائرها من الحق والخير والخلق الحسن وكريم الخصال ...الخ.

قوله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

فكلمة (العرف) مثلا هي من جوامع الكلم التي لا نستطيع أن نفاضل بينها وبين غيرها من الكلم ، ولا نجد كلمة تسد مسدها في عموم معانيها ؛ وذلك لأنها تتواطأ وتتوارد على كثير من المعاني ؛ فهي من المتواطئ الذي يحمل على العديد من المعاني ؛ ولذا قال أبو جعفر بعد تعداد طائفة من تفسير العلماء لبعض ما تشتمل عليه من المعاني:

" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف - وهو المعروف في كلام العرب- مصدر في معنى: "المعروف".

يقال: "أوليته عُرْفًا، وعارفًا، وعارفةً" كل ذلك بمعنى: "المعروف".

فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن "المعروف" صلة رحم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم. وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه، فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى؛ فالحق فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض." (٧)

ومن ذلك الفارق بين : الضَعف والضُعف والوهن والاستكانة :

يقول أبو هلال العسكري في الفروق :

" ٣١٦- الفرق بين الضعف والضعف: أن الضعف بالضم يكون في الجسد خاصة وهو من قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم:٥٤] والضعف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل يقال في رأيه ضعف ولا يقال فيه ضعف كما يقال في جسمه ضعف وضعف.

٣١٧ - الفرق بين الضعف والوهن: أن الضعف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعل الله تقول خلقه الله ضعيفا أو خلقه قويا، وفي القرآن ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] والوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف تقول وهن في الأمر يهن وهنا وهو واهن إذا أخذ فيه أخذ الضعيف، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران:١٣٩] أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إياه لكم، ويدل على صحة ما قلنا أنه لا يقال خلقه الله واهنا كما يقال خلقه الله ضعيفا، وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازا في مثل قوله تعالى ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران:١٤٦] أي لم يفعلوا فعل الضعيف، ويجوز أن يقال إن الوهن هو انكسار الحد والخوف ونحوه، والضعف نقصان القوة.

وأما الاستكانة فقيل هي إظهار الضعف قال الله تعالى ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة، قال الخليل:إن الوهن : الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه"[٨]

ومن خلال ما سبق نقله عن أبي هلال نتبين أن الضعف يكون في الجسد والعقل والرأي ، أما الضعف بالضم فلا يكون إلا في الجسد ، ومن هنا جاءت القراءات بالفتح والضم (خلقكم من ضعف) (وضُعف).

أما الوهن فيفهم من كلام أبي هلال في قوله يفعل فعل الضعيف وأنه انكسار الحد والخوف ونحوه ؛ فهذا يدلنا على أن الوهن إنما يراد به ضعف العزم لا ضعف الجسد ، فهو انكسار في النفس يتبعه ضعف في الهمة والعمل.

أما الاستكانة : فهي إظهار الضعف والركون إليه والميل إلى الدعة والتخاذل.

ومن ثم نستطيع أن ندرك الفروق بين هذه الألفاظ القرآنية في قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦]

كما نستطيع أن نفهم كذلك بلاغة القرآن في نظم هذه الألفاظ وترتيبها ؛ حيث بدأ بنفي الوهن وهو ما يرجع إلى ضعف النفس والعزيمة ، ويتسبب عنه الضعف عن العمل ، ثم أتبعه نفي الضعف وهو ضعف الجسد الظاهر عن العمل الناتج عن وهن العزائم ، ثم أتبعه نفي الاستكانة والمراد منه بيان قوة التحمل وعدم إظهار ما ألم بهم من أذى العدو مما يسبب ضعف قوتهم فتحاملوا على أنفسهم ولم يبدوا شيئا من أمارات الضعف أو الوهن ، ولا ركنوا لما نزل بهم من الهزيمة ولا رضوا به ولا استكانوا إليه ؛ بل أظهروا خلاف ذلك قوة وجلدا وصبرا في النزال والقتال ؛ فاستحقوا لذلك محبة الله والله يحب الصابرين.

ومن ذلك أيضا : سبل – فجاج :

قال تعالى : ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٥- ١٦]

وقال أيضا ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:٣١]

وقال أيضا: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّخرُف: ١٠]

وقال أيضا: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩- ٢٠]

وقال أيضا: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: ٥٣- ٥٤].

قوله : سُبُلاً تدل على كل سبيل متخلل في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾، أي أسلك فيها سبلاً ، أي جعل سبلاً سالكة في الأرض ، أي داخلة فيها ، أي متخللة . وذلك كناية عن كثرتها في جهات الأرض .

والمراد بالسبل : كلّ سبيل يمكن السير فيه سواء كان من أصل خلقة الأرض كالسهول والرمال ، أو كان من أثر فعل النّاس مثل الثنايا التي تكرر السير فيها فتعبدت وصارت طرقاً يتابعُ الناس السير فيها ".[٩]

قال القرطبي :"السبل: الطرق. والفجاج جمع فج، وهو الطريق الواسعة؛ قاله الفراء. وقيل: الفج المسلك بين الجبلين."[١٠]

قال الزمخشري في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:٣١] [فجاجاً] الفج : الطريق الواسع . فإن قلت : في الفجاج معنى الوصف ، فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى : ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح : ٢٠] قلت : لم تقدّم وهي صفة ، ولكن جعلت حالاً كقوله :

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيم ... فإن قلت : ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ قلت : أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة . والثاني : بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة ، فهو بيان لما أبهم ثمة "[١١].

ومن خلال ما سبق نتبين أن السبل وهي جمع سبيل هي طريق ممتد ممهد وهو مظنة اهتداء السالك له إلى حيث يقصد إذا قصد إلى سواء السبيل ولم يتعوج يمينا وشمالا ، وهي حيث وردت مفردة في القرآن وردت في سياق مظنة الهدى فهي كثيرا ما تضاف إلى الله تعالى في القرآن فيقال : سبيل الله .

ويرشح لما قلنا ويؤكده اقترانها بالهداية في المواضع السابقة كما في الآيات الثلاثة الأولى.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٦]

﴿فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:٣١]

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّخرُف:١٠].

فالآيات الثلاثة الأولى ترشح إلى أن السبيل حينما يتعين للشخص يكون مظنة الاهتداء ، ولا يكون الضلال إلا حينما يقف على عدة سبل متحيرا أيها يسلك ، أو يسلك هذه تارة وتلك تارة أخرى، ولذا أمر الله تعالى في سورة الأنعام باتباع سبيل الله تعالى وصراطه المستقيم ، ونهى عن اتباع السبل المتفرقة ؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]

فالآيات الثلاثة الأولى تعطي مظنة الاهتداء بها ، والآيتان بعدها تعطيان مظنة تهيئتها لسلوك الناس عليها وانتفاعهم واهتدائهم بها ، ويفهم ذلك من قوله :

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

[نوح: ١٩- ٢٠]

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه:٥٣]

فامتنانه تعالى بأنه قد سلك في الأرض هذه السبل يشير إلى تمهيده إياها وتهيئتها لانتفاع الناس بها.

أما الفجاج ، فهي وإن اشتركت مع السبل في معنى الطريق فإنها تختص بها بسمة الاتساع ؛ ومن ثم يختص السبيل بالتمهد والاستواء ، وتختص الفجاج بالاتساع.

وبهذا تجتمع المعاني ، وتظهر النكتة في تقديم السبل تارة في مقام دعوة نوح قومه ممتنا عليهم بنعمة تمهيدها وتهيئتها حتى صارت كالبساط لهم ؛ فحيث ذكر وصف الأرض بالبساط الدال على تمام التمهد أتبعه بذكر السبل التي تكون ممهدة مهيئة، ثم أتبع ذلك بنعمة كونها فجاجا متسعة من باب التتميم للنعم.

وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:٣١]

فقدم الفجاج وهي من صفة الأرض ؛حيث السياق هنا سياق بيان عجائب الخلق ،وما أودع في الأرض من الجبال الرواسي والفجاج الواسعة وغير ذلك ؛ ، ثم أتبع ذلك بنعمة كونها سبلا ممهدة يهتدى بها من باب التتميم للنعم.

والذي يراجع سياق السورة يتبين له ذلك [١٢].

- **اتساع الدلالة من خلال المشترك اللفظي :**

الاشتراك بين الألفاظ واقع في لغة العرب بما لا ينكره من له أدنى اطلاع على لغتهم ، وذلك كما في لفظ (العين – الجون – الشفق – القرء - عسعس ...الخ)

"وإذا عرف وقوع الاشتراك لغة فهو أيضاً واقع في كلام الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى: "والليل إذا عسعس " (التكوير:١٧) فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره وهما ضدان هكذا ذكره صاحب الصحاح.

وقد يؤتى باللفظ المشترك لغرض بلاغي أو نكتة جمالية

فمن ذلك كلمة (عسعس) ، و(قسورة) ، و(ريع) ،و (آية)...إلخ ونحو ذلك.

•فكلمة (عسعس) في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير:١٧] تأتي بمعنى الإقبال والإدبار ، "عن مجاهد قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾قال: إقباله، ويقال: إدباره"[١٣].

و لا شك أن كلا من إقبال الليل وإدباره ساعتان شريفتان ، وآيتان عظيمتان دالتان على قدرة الله تعالى ؛ فلذا فقد أقسم الله بهما تنويها بشأنهما ، وتعظيم النبي- صلى الله عليه وسلم - لهاتين الساعتين بالذكر والصلاة والتسبيح ثابت بنصوص كثيرة ليس هنا محل ذكرها ؛ لذا فلا يبعد أن يراد بالقسم كلا من هاتين الساعتين الشريفتين ، وسياق الكلام يساعده ولا يعارضه.

- وكذلك لفظ (قسورة) في قوله تعالى : ﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٖ ٥١﴾ [المدَّثر:٥١]

ذكر ابن جرير الاختلاف فيها ؛ فمنهم من قال: الرماة ومنهم من قال هو الأسد[١٤].

والسياق لا ينفي أحد المعنيين بل يحتملهما جميعا ؛ فالحمر بلا شك تفر من الرماة كما تفر من الأسد ؛ فقد أثبت لها الفرار من كل من يشمله اسم القسورة ، ويؤيد ذلك مجيء قسورة منكرة .

ولا شك أن ذلك مما يزداد به المعنى جمالا وقوة فهذه الحمر المضروبة مثلا للكافر المعرض تفر من كل من تعرض لها أشد الفرار ؛ إذ تستشعر فيه خطرا داهما عليها ؛ وكذلك هؤلاء الكافرون المعرضون يحسبون كل متعرض لهم بالدعوة إلى الله خطرا داهما ، وشرًّا محدقا ، وذلك لكون ما يأتي به من الهدى معارضا أهواءهم أتم المعارضة .

وسواء بدا ذلك الداعي لهم شديدا كالأسد ، أم تلطف لأخذهم للهداية - كما يتلطف الصائد الرامي لصيده – فإن ذلك كله لا يجدي معهم شيئا.

- ومن ذلك (كلمتي : ريع – آية) في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء:١٢٨]

عن مجاهد : " قال: "شرف ومنظر"...وعن قتادة.. قال: "بكلّ طريق"[١٥].

فعلى ذلك فكلمة (ريع) من المشترك اللفظي ؛ إذ تعني الطريق أو الشرف وهو الموضع العالي أو المنظر ، ولا مانع من اجتماع تلك المعاني جميعا ؛ حيث لا يأباها السياق ، وهذه هي العادة في اتخاذ الآيات التي يتباهى بها أصحاب الحضارات ؛ إذ يتخيرون لها موضعا مستشرفا للأعين ، ذا منظر حسن ، في طريق الناس حتى تقع الأعين على تلك الآية التي يتباهون بها .

وكذلك كلمة { آيَةً } قيل :"أي: معلما بناء مشهورًا"

وقيل :"الآية هي الدلالة والعلامة"[١٦].

فعلى ذلك فهي من المشترك اللفظي كذلك ، والسياق محتمل لهذه المعاني جميعها ؛ فهم يتخذون ذلك الأثر لكي يكون دلالة على قوتهم ، وعلامة على حضارتهم ، أو على مدينتهم ؛ بحيث تعرف به وتعلم به وتشهر به ، فيجتمع فيه كلُّ هذه المعاني أنه معلم وبناء مشهور ودلالة وعلامة .

وفي هذا كلّه تأكيد لتلك السمة الأسلوبية من سمات إعجاز القرآن الكريم ، ألا وهي سمة الاتساع في المعاني بوسائل وطرق شتى .

- **اتساع الدلالة من خلال المتواطئ :**

يفرق الأصوليون بين المشترك والمتواطئ وذلك أن "اللفظ المشترك هو اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان وضعًا أولا"[١٧].

أما المتواطئ: فهو لفظ يطلق على أشياء متغايرة ولكنها متفقة في المعنى الذي وضع اللفظ له مثل لفظ "لون" فالسواد لون، والبياض لون، والحمرة لون.

ومثل لفظ "رجل" التي تطلق على: زيد وعمرو ومحمد و...

ومثل لفظ "جسم" فهي تطلق على السماء والأرض، والإنسان، والحيوان، وعلى كل شيء له ثقل ويشغل حيز.

فقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١]

ورد فيه لفظ متواطئ يدل على العموم وهو لفظ "ما" فإنها تعني الإنسان، والملائكة والحيوان والجماد... فاللفظ المتواطئ من ألفاظ العموم.

فمِثَالُ المتواطئ مَا نُقِلَ فِي قَوْلِهِ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٣٢]

فَمَعْلُومٌ أَنَّ كلَّ واحد من هذه الأقسام يتناول أصنافا كثيرة ، الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ يَتَنَاوَلُ الْمُضَيِّعَ لِلْوَاجِبَاتِ وَالْمُنْتَهِكَ لِلْمُحَرَّمَات.

وَالْمُقْتَصِدُ يَتَنَاوَلُ فَاعِلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَارِكَ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالسَّابِقُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ سَبَقَ فَتَقَرَّبَ بِالْحَسَنَاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ.. (١٨)

وترجع قيمته الجمالية - في الغالب – إلى ما فيه من إيجاز بالإجمال المغني عن التفصيل بذكر أفراد ما أجمل لشيوع العلم بها .

فمن أمثلته أيضا قَوْله تَعَالَى : ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] قَدْ تَضَمَّنَ الأمْرَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذِكْرُنَا إيَّاهُ عَلَى وُجُوهٍ .

وَقَدْ رُوِيَ فِيهِ أَقَاوِيلُ عَنْ السَّلَفِ ، قِيلَ فِيهِ : أُذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِرَحْمَتِي " ، وَقِيلَ فِيهِ : " أُذْكُرُونِي بِالثَّنَاءِ بِالنِّعْمَةِ أَذْكُرْكُمْ بِالثَّنَاءِ بِالطَّاعَةِ " وَقِيلَ : أُذْكُرُونِي بِالشُّكْرِ أَذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ " وَقِيلَ فِيهِ : " أُذْكُرُونِي بِالدُّعَاءِ أَذْكُرْكُمْ بِالإجَابَةِ " .

وَاللَّفْظُ مُحْتَمِلٌ لِهَذِهِ الْمَعَانِي ، وَجَمِيعُهَا مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى لِشُمُولِ اللَّفْظِ وَاحْتِمَالِهِ إيَّاهُ." (١٩)

ولا شك أن استخدام لفظ الذكر ونحوه مجملا فيما يعرف تفصيله بالتفكر والتأمل - ولا يرتاب في معرفته – فيه من الإيجاز واختصار الكلام ما هو بأعلى المنازل من البلاغة والفصاحة ، حتى قالوا : "البلاغة الإيجاز ".

ونحوه ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير:٧]

فقد ورد فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني عُمل بهن عملٌ مثل عملها ، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة ، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار ، قاله عطية العوفي : حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة .

الثاني : يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوّج بامرأة من أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار زوّج بامرأة من أهل النار ، قاله عمر بن الخطاب ، ثم قرأ: ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢].

الثالث : معناه ردّت الأرواح إلى الأجساد ، فزوجت بها أي صارت لها زوجاً ، قاله عكرمة والشعبي .

الرابع : أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل خامساً : زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها ، فصار لاختصاصها به كالتزويج." (٢٠)

وهذه المعاني كلها تنتسب إلى الكلمة بنسبة واحدة ؛ إذ إن كلّ ذلك يعد تزويجا ؛ فهي إذا من المتواطئ ، وحمل الكلمة على كل هذه المعاني لا يأباه السياق بل يؤيده ويقويه ، والكلمة بهذه المعاني كشجرة ذات ظلال وأغصان وارفة كلها تمت إليها بصلة ونسبة واحدة .

- اتساع الدلالة من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز :

من الوجوه التي تتعدد بها الدلالة وتتسع تردد الكلمة بين الحمل على الحقيقة والمجاز ؛ وذلك قد يؤتى به لإرادة الحمل على كلا المعنيين الحقيقي والمجازي طلبا لاتساع في المعنى إذا ما اقتضاه السياق .

وأمثلته عديدة في كتاب الله تعالى ، فمن ذلك :

كلمة : الثياب في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدَّثر:٤].

من المفسرين من حملها على الحقيقة ومنهم من حملها على المجاز ، ومنهم من جوز الجمع بينهما :

فقد رجح أبو حيان الحقيقة رغم حكايته للأقوال المرجحة للمجاز[٢١]

واختار أبو حيان أن "الظاهر أنه أمر بتطهير الثياب من النجاسات ، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ، ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة ، والقول بأنها الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي"[٢٢]

ومال الألوسي إلى المجاز فقال:" ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[المدَّثر:٤] تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تذم به من الأفعال وتهذيبها عما يستهجن من الأحوال لأن من لا يرضى بنجاسة ما يماسه كيف يرضى بنجاسة نفسه....

وكلمات جمهور السلف دائرة على نحو هذا المعنى في هذه الآية الكريمة.

وقيل كني بها عن الجسم كما في قول ليلى وقد ذكرت إبلاً ركبها قوم وذهبوا بها :

رموها بأثواب خفاف فلا لها شبهاً إلا النعام المنفرا

وطهارة الجسم قد يراد بها أيضاً نحو ما تقدم . ومناسبة هذه المعاني لمقام الدعوة مما لا غبار عليه.

وقيل على كون تطهير الثياب كناية عما مر يكون ذلك أمراً باستكمال القوة العملية بعد الأمر باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه ،وقيل إنه أمر له بالتخلق بالأخلاق الحسنة .... وقيل الثياب كناية عن النساء "[٢٣]

ومع ميل الألوسي للمجاز فإن ظاهر كلامه في الآية التالية عدم استبعاد الحقيقة وكأنه يجوز الجمع بينهما قال :"والرجز فاهجر كلام جامع في مكارم الأخلاق كأنه قيل اهجر الجفاء والسفه وكل شيء يقبح ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين وعليه يحتمل أن يكون هذا أمراً بالثبات على تطهير الباطن بعد الأمر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدَّثر:٤]

حيث حمل ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ على تطهير الظاهر ، ولا شك أن أول ما يدخل فيه تطهير الثياب .

أما ابن كثير فقد حكى الأقوال السابقة ثم رجح الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فذكر من ذهب إلى المجاز كقول القائل :" لا تلبسها على معصية ولا على غَدْرَة. ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فَـإني بحمـد الله لا ثـوبَ لبستُ ولا من غَدْرَة أتَقَنَّـعُ

وقال الشاعر :

إذا المـرءُ لـم يَـدْنَس مـنَ فَكُـلّ ردَاء يَرْتَديـه جَميـلُ

وقال العوفي ، عن ابن عباس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ يعني لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية...

ثم ذكر قول من ذهب إلى الحقيقة فقال :

"وقال محمد بن سيرين: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: اغسلها بالماء.

وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر، وأن يطهر ثيابه.

وهذا القول اختاره ابن جرير.

ثم قال :"وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس:

أفاطمَ مَهلا بعض هَذا التَدَلُّل وَإن كُنت قَد أزْمَعْت هَجْري فـاجملي

وَإن تَكُ قَد سـاءتك منـي خَليقَةٌ فَسُلّي ثِيَـابي مِن ثيابك تَنْـــسُلِ

وقال سعيد بن جبير: { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } وقلبك ونيتك فطهر.

والذي نراه أن السياق في هذه السورة الكريمة لا يأبى الجمع بين المعاني المذكورة في هذه الآية سواء منها ما كان حقيقة أو مجازا ؛وذلك لأن الداعي إلى الله ؛ بله أكرم الرسل ينبغي أن يجتمع له صلاح الظاهر والباطن المشتمل على حسن المظهر والمخبر ، فيجمع بين حسن السمت المشتمل على أكمل الهيآت التي ترغب في الإقبال عليه وتحول دون النفرة منه ، مع صلاح الباطن واستقامة الخلق بحيث لا يعثر له على هفوة تكون حجة عليه وعلى دعوته .

ومجيء هذه الكلمة في هذا الموضع محتملة لكل ما ذكر مما يقتضيه السياق ويتسع له هو أبلغ دلالة على إعجاز هذا الكتاب العزيز ، وكونه من لدن حكيم حميد .

ومن ذلك قوله تعالى "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" [البقرة:١٩٧]

حيث جعل الزاد جنسا يشمل كلا النوعين الحقيقي الحسي المعهود ، أو المجازي المعنوي وهو تقوى الله تعالى ؛ فحمل الزاد على معنييه الحقيقي والمجازي لما في ذلك من اتساع في المعنى يقتضيه السياق والمقام ؛ فإن المقصود هو الاعتدال في الجمع بين الدنيا والآخرة .

- اتساع الدلالة من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي و الشرعي.

ذهب ابن كثير كذلك في أكثر من موضع إلى جواز الجمع بين المعنى اللغوي العام والمعنى الشرعي الخاص ما دام السياق محتملا لهما ، وذلك كما في قوله تعالي : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون:٤] قال:"الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال (أي : المعنى الشرعي)، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات الأنصبة والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية:

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا (المعنى اللغوي العام) وهو: زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩- ١٠]، وكقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت:٦- ٧]، على أحد القولين في تفسيرها."

فقد حكى أقوال المفسرين هنا في معنى الزكاة ، وهي لا تخرج عن معنيين:

•**المعنى الشرعي :** وهو الزكاة الشرعية (بمعنى إخراج قدر محدود من المال إلى مستحقيها بشروطها)، وهي إما المفروضة على القول المرجوح ؛ لعدم فرضيتها في زمان نزول النص ، وإما بمعنى الصدقة وقد كانت مشروعة آن ذاك .

•**المعنى اللغوي :** وهو يرجع في أصله إلى معان منها الطهر والنماء والصلاح ، فكأن المقصود هنا هو تطهير النفس وإصلاحها وتنمية جوانب الخير فيها ، على نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى:١٤]. وقوله تعالى :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]

وبعد حكايته للقولين الواردين في هذا الموضع قرر مذهبه في جواز الجمع بين كلا المعنيين اللغوي والشرعي بشرط احتمال السياق لهما فقال :

"وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.(الأعلى:١٤)

وقد حكى نحو هذين القولين في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧﴾ [فُصِّلَت: ٩- ٧]

والذي ذهب إليه ابن كثير في هذا الموضع من جواز الجمع بين المعنيين اللغوي والشرعي لا غبار عليه ؛ إذ السياق يؤيده لاحتماله كلا المعنيين ؛ وذلك لأن السياق سياق ذكر لجملة من الخصال الحميدة التي اتصف بها المؤمنون ، واستحقوا بها المدح والثناء من الله تعالى، ووعدهم عليها بالفلاح في مطلع تعداد تلك الصفات حيث بدأ الله تعالى السياق بقوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون:١].

ولا شك أن كلا الصفتين هما من صفات المؤمنين اللتين لا يتحقق فلاحهم إلا بهما ؛ بل إن المتأمل لهاتين الصفتين يلحظ تكاملهما وترابطهما بحيث لا يتصور إحداهما دون الأخرى ؛ وإلا فكيف يتصف بزكاة النفس وصلاحها وطهرها من قسا قلبه فلا يكرم اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، وكيف يرق القلب لإنفاق المال وبذله للغير دون مقابل دنيوي ما لم يكن قلبا زاكيا صالحا ؟!

ولذا فقد ذم الله تعالى المشركين في الآية الأخرى وتوعدهم بالويل بسبب أنهم ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وقد سوغ ابن كثير حملها على المعنيين كذلك ، وهو صحيح لما ذكرناه ؛ فإذا كان المعنيان المذكوران هما سبب فلاح المؤمنين فلا جرم يكونان سبب خسران المشركين والكافرين كذلك ،

وقد جمع الله تعالى في وصفهم بين هاتين الصفتين (زكاة النفس وبذل الصدقة) وبين ترابطهما فقال : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١- ٣].

ومما يستشهد به في هذا المقام كذلك لجواز الحمل على المعنيين اللغوي والشرعي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠]

فقد أورد ابن جرير الأقوال في معنى الآية وحاصلها :

- قسم حمل الصلاة على المعنى اللغوي وهو الدعاء.
- وقسم حملها على المعنى الشرعي المعروف بما تشتمل عليه من قراءة وذكر
- وقسم حملها على بعض أجزاء المعنى الشرعي وهو القراءة ؛ فكأنه جعلها من المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية (٢٤)

فمما أورده ابن جرير من أقوال السلف في تفسيرها ما ورد "عن عطاء ، قال: يقول ناس إنها في الصلاة، ويقول آخرون إنها في الدعاء." (٢٥)

وبعد استقصائه جميع الأقوال فسرها بقوله :" ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

فنلاحظ أن ابن جرير قد سلك منهجا صائبا حيث احتكم إلى دلالة السياق فرأى أن السياق لا يأبى شيئا من الأقوال الآنفة فجمع بينها جميعا في عبارته السابقة .

ملخص الوحدة

عرضت هذه الوحدة لبلاغة القرآن الكريم في استعمال الألفاظ المفردة ذات الدلالات الثرة الواسعة التي تناسب سياقها ومقامها أتم المناسبة ؛ بحيث لا تقوم لفظة مقامها مما يكشف عن إعجاز هذا الكتاب الخالد.

وقد عرضت لذلك من خلال النقاط التالية :

- تمهيد عن بلاغة اللفظ القرآني
- بلاغة اللفظ القرآني بمراعاة فروق الدلالة المعجمية الدقيقة في مناسبته للسياق والمقام.
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المشترك اللفظي
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال المتواطئ
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز
- بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالته من خلال الجمع بين المعنيين اللغوي والشرعي.

الهوامش

(١) تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢)

(٢) انظر تفسير الطبري للآية

(٣) تفسير الألوسي ٣٩٥/١٣

(٤) انظر تفسير الطبري للآية

(٥) تفسير الكشاف ٣٩٦/٤

(٦) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ ص ٢٠١

(٧) تفسير الطبري - جامع البيان ت شاكر (١٣/ ٣٣١)

(٨) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٣٣٠

(٩) التحرير والتنوير (ج ٩ / ص ٥٤)

(١٠) تفسير القرطبي - (ج ١٨ / ص ٣٠٦)

(١١) الكشاف - (ج ٤ / ص ٢١٨)

(١٢) قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٠- ٣٤]

(١٣) انظر تفسير الطبري للآية

(١٤) انظر تفسير الطبري للآية

(١٥) انظر تفسير الطبري للآية

(١٦) انظر تفسير الطبري للآية

(١٧) انظر المحصول للرازي:٣٥٩

(١٨) انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية :٣٢-٣٣ بتصرف

(١٩) السابق

(٢٠) النكت والعيون ٣/٤٨٨-٤٨٩

(٢١) البحر المحيط ١٠/٣٧٨

(٢٢) السابق

(٢٣) تفسير الألوسي ٢١/٣٩٩

(٢٤) انظر تفسير الطبري للآية

(٢٥) انظر تفسير الطبري للآية

(٢٦) انظر تفسير الطبري للآية

(٢٧) تفسير الألوسي ١٣/٣٩٥

(٢٨) انظر تفسير الطبري للآية

(٢٩) تفسير الكشاف ٣٩٦/٤

(٣٠) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ ص ٢٠١

(٣١) تفسير الطبري - جامع البيان ت شاكر (٣٣١ /١٣)